قصة
سيدنا شعيب عليه السلام

obeikandl.com

obeikandl.com

قصة سيدنا شعيب عليه السلام

وليس ما حكيناه لكم من قصص النبيين ، هو كل ما حكاه الله في القرآن من قصصهم وحكاياتهم ، ففي القرآن قصص غير هذه القصص .

٣ـ وإلى مدين أخاهم شعيبًا

فيه قصة نبي الله شعيب الذي أرسله الله على مدين وأصحاب الأيكة ، وهم أصحاب تجارة وسلع ، فقد كانوا على الجادة التّجارية الكبيرة بين اليمن والشام ، وبين العراق ومصر ، على ساحر البحر الأحمر .

كانوا يشركون بالله غيره ، كما كانت أمم الأنبياء في كل عصر ، وكانوا ـ زيادة إلى ذلك ـ ينقصون المكيال والميزان ، ويطففون في الكيل ، ويتعرضون للقوافل ، فيتوعدونها ويخيفونها ، ويعيثون في الأرض فسادًا ، شأن الأغنياء والأقوياء الذين لا يرجون حسابًا ولا يخشون عقابًا .

فبعث الله إليهم رسوله شعيبًا يدعوهم وينذرهم ، ويقول لهم : ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾

[هود:٨٤]

***

٤ـ دعوة شعيب

ويبسط لهم في الكلام ، ويحل عقدة في نفوسهم ، وهي عقدة حب المال والزيادة فيقول :

إن ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان ، خير لكم من أخذ أموال الناس بالظلم والخيانة ، وإذا نظرتم في حياتكم ، وفي حياة هؤلاء الذين أثروا وجمعوا الأموال ، وجدتم أنّ ما اكتسبتموه عن طريق التطفيف والبخس والخيانة ، كان مصيره إلى التلف والضياع أو الفساد والبلاء ، فسرق أو نهب أو أنفق في غير ما يرضي الله أو سلط عليه من أتلفه وعبث به ، والقليل الذي ينفع خير من الكثير الذي لا ينفع : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة:١٠٠] .

ونصيحتي لكم خالصة مخلصة ، والله هو الرقيب عليكم وحده يقول في رفق وحكمة وعن علم وبصيرة :

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [المائدة:٨٦] .

٥ـ أب رحيم ومعلم حكيم

ويتنوع لهم في الخطاب ، ويتفنن في النصيحة ، شأن الأب الرحيم والمعلم الحكيم ، فيقول :

﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:٨٥] .

٦ـ جواب قومه

وقد دَقَّق أذكياؤهم في تفسير هذه الدعوة وتعليلها ، وقالوا في تيه وزهو ، كأنهم اكتشفوا سرًا ، أو فكوا لغزةً :

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود:٨٧] .

٧ـ شعيب يشرح دعوته

وتلطف لهم شعيب ، فلم يقس ولم يغضب ، وأفهمهم أنه ما حمله على هذه الدعوة والنصيحة بعد صمت طويل وعدم تعرض لما كانوا عليه من أخلاق فاسدة وتصرفات جائرة ، إلا ما أكرمه الله به أخيرًا : بالنبوة والوحي وما شرح له صدره وآتاه نورًا من عنده .

وأنه لا يحمله على ذلك الحسد ، فقد أغناه الله ورزقه حلالًا طيبًا ، وأنه بذلك سعيد ، هنيء النفس ، رخي البال ، شاكر لله تعالى بالقلب واللسان .

ثم أنّه لا ينهاهم عن أمر ويرتكبه ، ويمنعهم من شيء ويأتيه ، وأنّه ليس من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، ولا من الذين يقولون ما لا يفعلون ، إنما يريد إصلاحهم ، وإسعادهم وإنقاذهم من العذاب الذي يحلِّق على رؤوسهم وإنَّ الفضل كله يرجع إلى الله تعالى وعليه اعتماده .

obeikandl.com

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨] .

٨ـ ما نفقه كثيرًا مما تقول

وتجاهل القوم ما أراده شعيب كأنه كان يتكلم معهم في لغة أجنبية مع أنه ابن البلد ، وأخو القوم وكأنه كان غير مبين في كلامه غير مفصح مع أنه من أبلغهم كلامًا وأنصعهم بيانًا ، وهكذا يقول الناس إذا كبرت عليهم النصيحة وشق عليهم العمل .

٩ـ شعيب يتعجب من قومه

وتعللّوا بضعفه ووحدته ، وأنه لولا عشيرته وقرابتهم له لرجموه بالحجارة ، وتخلصوا منه ، وقد استنكر ذلك شعيب وتعجب من أن يكون الله العزيز القادر ، والقوي القاهر ، أهون عليهم من عشيرة هي عرضة للأمراض ، والهلاك والضعف والعجز .

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِۖ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [هود:٩١] .

***

١٠ـ السهم الأخير

ولما انقطعت حجتهم أطلقوا السهم الأخير الذي أطلقه المتكبرون ، من كل أمة على نبيهم وأتباعه .

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾ [الأعراف:٨٨] .

١١ـ حجة قاطعة

فكان جوابه جواب فخور بدينه ، غيور على عقيدته وضميره :

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف:٨٩] .

١٢ـ بل قالوا مثل ما قال الأولون

فلم ينفعهم ذلك ، بل قالوا مثلما قال الأولون : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الشعراء:١٨٧] .

١٣ـ عاقبة أمة كذبت نبيها

وكانت العاقبة واحدة ، عاقبة كل أمة كذبت نبيها وكفرت بنعمة الله :

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٩٣] .

١٤ـ بلغ الرسالة وأدى الأمانة

وكان شأن شعيب ، شأن كل نبي بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة وأقام الحجة : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:٩٣] .

*****

opeikandl.com